

تفسير البيضاوي

19 - { أو كصيب من السماء } عطف على الذي استوقد أي : كمثل ذوي صيب لقوله : { يجعلون أصابعهم في آذانهم } و { أو } في الأصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فأطلقت للتساوي من غير شك مثل : جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله تعالى : { ولا تطع منهم آثما أو كفورا } فإنها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله : { أو كصيب } ومعناه أن قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وأنهما سواء في صحة التشبيه بهما وأنت مخير في التمثيل بهما أو بأيهما شئت والصيب : فيعمل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللحباب قال الشماخ : .

(وأسحم دان صادق الرعد صيب) .

وفي الآية يحتملها وتنكيره لأنه أريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فإن كل منها يسمى سماء كما أن كل طبقة منها سماء وقال : .

(ومن بعد أرض بيننا وسماء) .

أمد به في الصيب من المبالغة من جهة الأصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية .

{ فيه ظلمات ورعد وبرق } إن أريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامة مع ظلمة الليل وجعله مكانا للبرق والبرق لأنهما في أعلاه ومنحدره ملتبس به وأن أريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لأنه معتمد على موصوف والرعد : صوت يسمع من السحاب والمشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها إذا حدثها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشئ بريقا وكلاهما مصدر في الأصل ولذلك لم يجمعا .

{ يجعلون أصابعهم في آذانهم } الضمير لأصحاب الصيب وهو وإن حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز أن يعول عليه كما عول حسان في قوله : .

(يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل) .

حيث ذكر الضمير لأن المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل : فكيف حالهم مع مثل ذلك ؟ فأجيب بها وإنما أطلق الأصابع موضع الأنامل للمبالغة .

{ من الصواعق } متعلق بيجعلون أي من أجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة

قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشئ إلا أتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد يقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت وقرئ من الصواعق وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البناءين في التصريف يقال صعق الديك وخطيب مصقع وصعقته الصاقعة وهي في الأصل إما صفة لقصفة الرعد أو للرعذ والتاء للمبالغة كما في الرواية أو مصدر كالعافية والكاذبة { حذر الموت } نصب على العلة كقوله : .
(وأغفر عوراء الكريم ادخاره ... وأصفح عن شتم اللئيم تكريماً) .
والموت : زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله : { خلق الموت والحياة } ورد بأن الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدره .
{ وإني محيط بالكافرين } لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها